فنون مشهدية

جمال شقير يعيد الألق إلى الخشبة السورية

دمشق- خليل صويلح

في تجربته الإخراجية الأولى «ستاتيكو» (عن نص لشادي دويعر)، أعاد جمال شقير بعض الألق إلى الخشبة المسرحية السورية. هناك ما يشدّنا إلى العرض الذي تشهده هذه الأيام خشبة «مسرح القباني» في دمشق. لوحة الـ«غرنيكا» المعلّقة على الجدار ستحيلنا على حرب أهليّة ما، حرب على بعد أمتار ربما، لكن الرجل الأربعيني (كفاح الخوص) الذي كان يتهيأ للخروج ببزّة جديدة أربك توقعاتنا قليلاً. بدا كأنه ينتظر أحداً ما في تلك الليلة المضيئة، ربما كان على موعدٍ غرامي، أو إجراء صفقة ما. إلا أنه ما أن يجلس إلى طاولته حتى تتلاشى هذه التوقعات. فهذا شخص قد وصل إلى قرار حاسم بالانتحار، وفقاً للتسجيل الذّي كان يرويه على شريط كاسيت.

> لوحة الـ«غرنيكا» المعلّقة على الجدار ستحيلنا إعلى حرب أهليّة ما

سنفهم أنه انتهى إلى عدمية مطلقة، ويأس كامل من حياة غير جديرة بالعيش. مستقبله لن يكون أفضل من ماضيه، في عزلة تزداد ضراوة بعد انفصاله عن زوجته، وانطفاء أحلامه في عالم كابوسي يكاد يخنقه. الموسيقى الصاخبة التي تقتحم عزلته على هيئة مارشات عسكرية (درامز سيمون مريش)، أربكت صفاء لحظة تسجيل وصيته، ولن ينفعه الاحتجاج المتواصل في إسكات تلك الموسيقى. وسيزداد وضعه سوءاً بمجيء جاره (محمد حمادة) بسكينه الضخمة لاستعارة بصلة. السكين أضخم مما يحتاج إليه تقشير البصل، كما أنّ هيئته وتصرّفه وأفعاله الوقحة، تنطوي على نموذج يعيش اللحظة الراهنة بكل وحشيتها ولا آدميتها. هذا كائن بهيمي ونفعي وتسلّطي، من أولئك الذين وجدوا في فوضى الحرب سلّماً للصعود واستثمار كل ما يقع بين أيديهم، فكل شيء يصلح للنهب والبيع.

في الحركة الثانية من «ستاتيكو» الرجل الذي ينوي الانتحار، تقتحم لحظته الأخيرة صديقة الجار (نوّار يوسف) بقصد الاختباء في بيته، بعد قدوم أهله المباغت إلى بيت عشيقها. كانت «أمل» مضطربة بفردة حذاء واحدة، مثل سندريلا مطعونة بكرامتها. ما أن تكتشف أن نيّة الرجل الانتحار وليس القتل، نظراً إلى وجود مسدس في درج الطاولة، تحاول استدراجه إلى إنجاز المهمة على عجل، لأن منظر رجل غارق بدمه، وفقاً لرؤية عرّافة سيفتح أبواب الحياة أمامها... هي العالقة بين رجل لا تحبه، وتطلعاتها نحو أفق آخر لا يشبه الدرك الذي وصلت إليه. كأس شاي تتبادله مع هذا الرجل الغرائبي يفتح شهيته إلى الحياة رغم ادعائه الانتحار حتماً. كأن حاجتهما إلى الحب هي العزاء للخلاص من «ستاتيكو» العنف المتواصل بمراياه المختلفة. وهذا ما جعلها تخوض عراكاً شرساً مع عشيقها الذي عاد مرّة أخرى لقضاء السهرة بصحبة الجار غير عابئ بما كان يخطّط له. سيتكشّف المشهد عن فوضى عارمة في المكان، وستتناثر الكتب والأوراق والثياب، قبل أن تنتهي إلى الشارع بحركة رقص مجنونة تقوم بها أمل، في أكثر المشاهد براعة وألقاً خلال العرض. لعلها محاولة للخلاص من ايديولوجيا عبثية أوصلت صاحبها إلى محاولته الانتحار. الجار الذي عبث بالمسدس عبر ألعاب صبيانية أدت إلى إطلاق رصاصة طائشة أودت بالرجل المنتحر، وفزع المرأة التي فتحت الباب وخرجت بعد صمت طويل، طاويةً صفحة سوداء من حياتها نحو شارع انطفأت أضواؤه فجأة، والجار الذي مسح بصماته عن المسدس وتسلل من المكان، فالعتمة تنتظر الجميع في الخارج. هناك جريمة لن يكتشفها أحد بوجود شريط الكاسيت واعترافات القتيل. ربما كانت هذه الإشارة خلاصة فكرة العرض. عمل جمال شقير على النص إعداداً وإخراجاً بما يشبه نقلات رقعة الشطرنج، من دون أن ينبش بعمق أسباب كبوة حصانه، والزلزال الذي أطاح القلعة. اكتفى بإشارات خاطفة إلى ما قادنا إلى هذا الحطام. كنّا نحتاج حفراً إضافياً بخلخلة السرد الأفقي نحو ضربات شاقولية تمنح العرض ثقلاً درامياً يستحقه، رغم الحضور اللافت لممثليه. نوار يوسف مجنونة الخشبة السورية بلا منازع بأدائها المبهر، وكفاح الخوص التقط بذكاء نبض الشخصية. أما محمد حمادة فقد انخرط بجرعة زائدة من الاضحاك، مما أربك مساحة شجن الآخر وأوجاعه. عرض حار في شتاء قارس أنعش الخشبة السورية بعد انطفاء الموقد طويلاً.

نوار يوسف وكفاح الخوص في مشهد من «ستاتيكو»

* «ستاتيكو»: 18:00 مساء حتى 2 آذار (مارس) ـ «مسرح القباني» (دمشق) ـ للاستعلام: 009632318019

شغل بيت

«نارسيس»... محاولة للكلام عن الحرب الأهلية

مسرحية أخرى عن الحرب الأهلية، يريد مخرجها أن يظهّر ما يراه ناقصاً في السردية المطروحة: بعيداً عن السياسة. تدّعي «نارسيس» نقل «أحاسيس» من عاشوا الحرب. مهمّة معقّدة، لا يخفّف من تعقيدها محاولة «فتح» الموضوع للتأويل

جنى نخال

تنفش المرأة الثلاثينية شعرها الأحمر، وتلطم مرّات متتالية حتى يشابه اللطم إيقاعاً للرقص. تتدلّى ثريا زجاجية من السقف، فتتغيّر الإضاءة وتلعب موسيقى كلاسيكية في الخلفية ليرقص الممثلان (مايا سبعلي ووليد جابر)، فتطير عباءة الممثلة الملوّنة في الفضاء الأسود للمسرح: مشهدان من المشاهد القليلة التي تكسر مونوتونية «نارسيس». يعرض محترف «شغل بيت» لمؤسّسه المخرج شادي الهبر هذه المسرحية على «مسرح مونو». في إطار عمله مع المنظمات غير الحكومية عن قضايا عمالة الأطفال والاستغلال وزواج القاصرات، عمل الهبر هنا على نص لديميتري ملكي، عارضاً ما يريده سرداً عاطفياً لحرب الجبل.

هي «أحاسيس بعيدة عن السياسة» يعتبر أنها «ما زالت عالقة في عقول الناس»، ولم يسبق أن عالجها أحد. تفتتح المسرحية بشخصيتي العرض، امرأة عجوز وشاب. ترتدي المرأة ما يشبه معطفاً ملوناً يبنى عليه التناقض مع السواد الذي يلفّ المسرح. الشاب عسكري من الحرب اللبنانية والمرأة عاشتها، يجلسان على مقعد في مكان عام/ حديقة، ينتظران «نارسيس»، وتدور بينهما حوارات ومشاهد تراوح بين الكوريغرافيا واستعادة مشاهد من حيوات أشخاص عاشوا الحرب والخطف والقتل ومارسوه.

«هل أصبحنا... وحيدين؟
أهي رغباتنا الحقيقية المختفية وراء الابتسامات؟
أهي الذنوب؟
أهو السخف؟
الحرب؟ الحنين؟ الخوف أم التخويف؟
أهو الضجيج؟ أم الأقنعة؟ أم الموت؟
كلها أشياء ربما دفعت بنا إلى الميناء لانتظار وصول نارسيس».

هي إذاً عن حرب ينتظر فيها الناس من يأتي لينقذهم، يتوقعه بعضهم أشقر بعيون زرقاء، وآخرون بعيون سوداء وشعر أسود. هو انتظار لغودو، بين قذائف الحرب الأهلية اللبنانية ومعارك الأخوة فيها.

لكن «نارسيس» تقع وهي تحاول فعل ذلك كلّه، في فخ التبسيط والغموض والالتباس بين الشخصيات والمواضيع والمضمون. تعاني من ضعف في السيناريو وركاكته. من جهة، لم يساعد ضعف النص الممثلين فيشكّل ثقلاً في المضمون، ومن جهة أخرى لم يسمح ضعف أداء الممثلين بإغناء النص أو البناء عليه.

يقول الهبر بأنّ المسرحية «تفتح المجال أمام كل الإسقاطات والتأويلات، محاولة أيضاً بدلاً من تلقين المشاهد، أن تفتح مجالاً له بأن يفكّر في الموضوع المطروح». لكن مسعاه لجعل السيناريو واسعاً يحتمل التجارب المختلفة للناس بتنوّع خلفياتهم السياسية والاجتماعية، كما محاولة جعل النص عبثياً، أوقعا العرض في محظور التفكيك الكامل للمعنى والانسياق نحو استخدام التقنيات المسرحية من دون الحاجة لها، كما أسهما في غياب الحبكة. بينما تحمل المسرحية هاجس الانتظار ومرور الوقت، ينتقل هذا الانتظار للمشاهد والمشاهدة. ينتظران تغييراً في سياق السرد أو حتى كريشيندو معيّناً يكسر رتابة العرض. ومن الواضح أن المخرج ركّز على السينوغرافيا، لكنها أيضاً لم تستطع أن تقوم مقام السيناريو الذي بدا كمحاولة للعبث دون النجاح للوصول إليه.

من الضروري أن ننظر إلى الحرب الأهلية من زوايا مختلفة. أن نحكي تجارب ناسها باختلافاتهم، لكن مشكلة «نارسيس» هي في الخوف من مواجهة الحرب كحدث وفشلها في نقل عواطفها. فالعواطف لا تعني غياب المنطق أو السياق الزمني- المكاني أو التحليل المنطقي، بل تتطلّب منّا قراءة أكثر عمقاً حتى للطبيعة الإنسانية. ولا تبدو محاولة تعداد المشاعر وجمعها كاملة ـ بين سخف وحنين وخوف وتخويف وغيرها ـ صادقة وحقيقية في نقل ما جرى.

* «نارسيس»: 20:30 مساء حتى 26 شباط (فبراير) ـ «مسرح مونو» (الأشرفية .بيروت). للاستعلام: 01/421870

مايا سبعلي ووليد جابر في العرض (كريس غفري)